

في ترجمة أدب الطفل وحدود أقلمتها: نماذج مختارة من قصص أطفال مترجمة

On translating children's literature and the limits of its adaptation; selected examples of translated children's stories

عبد الحفيظ طيبي

جامعة محمد دباغين سطيف 2، الجزائر

a.taibi@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/06/30 تاريخ القبول: 2024/12/17 تاريخ النشر: 2024/12/22

ملخص:

"إما أن نترك الكاتب بأمان قدر المستطاع ونجعل القارئ يذهب لملاقاته، أو نترك القارئ بأمان ما أمكن ونجعل الكاتب هو من يلاقيه." لخصت هذه المقولة للفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر Friedrich Schleiermacher، وبدقة مهمة المترجم المتمثلة في اختيار أحد التيارين: إما تغريب ترجمته أو توطيئها. من هذا المنطلق، نرمي بهذه الورقة البحثية المعنونة بـ: " في ترجمة أدب الطفل وحدود أقلمتها"، إلى الوقوف على الاستراتيجية التي ينبغي على المترجم اتباعها لترجمة الأدب الموجه للبنية المجتمع الأساسية، ألا وهي 'الطفل'. فهل هي التغريب أم التوطيئ؟ وما حدود الأقلمة عند تبني إحدهما؟ الكلمات المفتاحية: ترجمة أدبية؛ أدب الطفل؛ توطيئ؛ تغريب؛ أقلمة.

Abstract:

Friedrich Schleiermacher argued that "There are only two. Either the translator leaves the author in peace, as much as possible, and moves the reader towards him; or he leaves the reader in peace as much as possible, and moves the author towards him". He summarized the translator's task which is foreignizing his text or domesticating it. With this in mind, we aim to explore the strategy that translators should adopt when translating literature intended for children who are the fundamental building blocks of society. Should it be foreignization or domestication? And what are the limits of adaptation when employing these methods?

Keywords: Literary Translation; Children's Literature; Domestication; Foreignization; Adaptation.

1. مقدّمة:

اهتمّ ممارسو الترجمة منذ القديم بالبحث فيما يذلل الصعوبات أمامهم؛ حيث شكّل المعنى حجر عثرة في سبيل بلوغ ترجمة جيّدة - وببسر- مع كلّ أنواع النصوص. فكان التغريب والتوطين أقدم ما اقترح للتعامل مع مثل هذه العقبات، ومثلّت الترجمة الأدبية الأرض الخصبة لمثل هذه الاستراتيجيات؛ لما تطرحه من صعوبات ومشاكل عند نقل ما يقصده الكاتب للمتلقي الهدف.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مهمة إيصال المعنى تشتدّ صعوبة عندما يكون المتلقي الهدف صغير السنّ غير مشبع بالمبادئ والثوابت، وغير مؤهل للحكم على المواضيع والأفكار بالبناءة أو الهدامة. كما هو الحال مع أدب الطفل.

نصبو، من خلال هذه الورقة البحثية، للإجابة عن ما يلي:

ما هي أسس التغريب والتوطين؟ ما هي حدودهما مع أدب الطفل؟ هل التغريب يجعل الطفل ينسلخ من ثقافة مجتمعه ويغدو في المستقبل تبعاً لمسلوب الهوية؟ وهل في توطين أدب الغير وأقلمته قضاء على التنوع الثقافي وانغلاق على الذات ونقل لفكرة مغلوطة على ثقافات العالم التي سيراها الطفل واحدة وموحدة؟ وهل بإمكان المترجم اتباع حل وسط يحافظ به على الاستقرار الثقافي للطفل من جهة ويساعده على الانفتاح على الآخر من جهة أخرى؟

2. الترجمة الأدبية:

لقد تنوّعت الدراسات والأبحاث التي قام بها المترجمون والدارسون، منذ القدم، لتحديد نوع الترجمة. فما اقترحه الكاتب الألمانيّ فان غوته في القرن التاسع عشر من أنواع، يعدّ في حقيقة الأمر طرقاً للترجمة، وهو عرض يختلف عمّا اقترحه الفيلسوف الألمانيّ فريدريك شلايرماخر، في الفترة نفسها، في مقاله المعنون بـ 'الطرق المختلفة للترجمة'. تمخضت عن هذه الجهود وغيرها جملة من الأنواع التي -وإن تعددت واختلفت- يتقاطع معظمها في 'النوع الأدبي والفني' الذي أسهبوا في الحديث عنه؛ بتحديد خصائصه ورصد صعوباته ليقترحوا ما رأوه مناسباً من حلول تذلل العقبات أمام المترجم وتبلغه مراده من الترجمة.

إنّ الصعوبات والعقبات التي قد تحول دون تحقيق المترجم لترجمة صحيحة وجيّد للنص الأدبي تبرّرها طبيعة هذا النوع؛ إذ يُعنى بكلّ ما يقوم على الفن والإبداع والتصوير

والتخييل، من نثر (قصة، رواية، مسرحية...) وشعر (الشعر الغنائي، الشعر المسرحي، والملحمي...). وهو نوع نقابله عادة بالترجمة غير الأدبية وتدعى كذلك بالمتخصصة؛ حيث إنّ الترجمة الأدبية تتعلق بالفكر واللغة في حين أنّ الترجمة المتخصصة تعالج الواقع والعالم:

« So, translation, which is a dynamic reflection of human activities, can be divided into two categories, usually called literary and non- literary [...] The first describes the sphere of the mind and of language, the second that of reality and the world. » (Anderman, Gunilla & Rogers, Margaret, 2003, p. 57)

فانطلاقاً من المشاكل التي واجهها المترجم أثناء ترجمة الأعمال الأدبية والتي صعبت عليه بلوغ الهدف الأساسي للترجمة والمتمثل في إيصال أفكار الكاتب للمتلقي الهدف والمحافظة على استمرار حياة الأعمال الأدبية والفنية الراقية، حدّدت للنوع الأدبي قواعد وأسس يلتزم بها المترجم. وإن كان التنظير الفعلي للترجمة يعود إلى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين، إلّا أنّ جذوره تعود لما قبل ذلك أين كانت تعد هذه العملية فناً بحتاً. فكتاب الجاحظ المعنون بـ: 'الحيوان' في القرن الثالث الهجري تحدث فيه -فيما لا يتجاوز العشر صفحات- عن شرائط الترجمان والتي في مجملها قواعد تمكّن المترجم من الوصول إلى ترجمة جيّدة، ليكون بذلك أوّل منظر للترجمة في التاريخ العربي. كما نجد المترجم الفرنسي إتيان دوليه قد تناول هذا الموضوع سنة 1540م في مؤلف بأكمله عنونه بـ: 'الطريقة الجيدة للترجمة من لغة إلى أخرى'، كما نجد الكاتب الإسكتلندي ألكسندر فرايزر تايتلر Alexander Fraser Tytler قد تناول هذه الأسس بالدراسة والتفصيل والتمثيل في 'محاولة في أسس الترجمة' عام 1791م. وتعدّ جميعها متكاملاً لما جاء بعدها من دراسات تنظرية وتطبيقية في مجال الترجمة.

في النصف الأوّل من القرن العشرين، وجدت عملية الترجمة ضالتها في علم اللغة وغدت فرعاً من فروعها، حيث اتّجه علماء اللغة لتطبيق ما وصلت إليه أبحاثهم على الترجمة؛ بوصفها عملية عمادها اللغة بشقّي أشكالها وأساسها النصّ بكلّ أنواعه. فكثرت الدراسات الترجمة التي تقابل نقل النصّ بنقل اللغة، وهو غاية لن يتوصل إليها المترجم دون تحليله بمجموعة من الكفاءات التي تكمل بعضها البعض والتي دونها يحيد عن الترجمة الصحيحة السليمة.

1.2. كفاءات المترجم:

ممّا لا شكّ فيه أنّ المعنى الذي يتناوله النص يحمل شحنات ثقافية ترتبط بالفكر والدّين وجب على المترجم احترامها والتعامل معها بدقّة. لذلك، اشترط في مترجم هذا النوع من النّصوص أن يتحلّى بكفاءات معيّنة وفي الثقافتين محلّ الترجمة؛ أي المنقول عنها والمنقول إليها.

فقبل كلّ شيء وجب على المترجم أن يكون على دراية واسعة بالمجتمع الذي يترجم عنه وذلك الذي يترجم له. فيكون عارفا بتاريخه وتراثه الشعبي، وتقاليده، وعاداته، وقيمه، وما هو مرفوض عنده ويعتبر من الطابوهات. كما عليه معرفة البيئة الطبيعية وأهميتها بالنسبة لهذا المجتمع، والشعوب المجاورة له. على أن يكون هذا الاطلاع ممزوجا بمجموعة من الكفاءات والمهارات التي بفضلها يكون عمله جيّدا.

تتمثّل هذه الكفاءات في مهارات التواصل، فيكون متمكنا من التواصل مع الغير كتابيا وشفويا وحتىّ بالإشارات. كما عليه امتلاك كفاءات تقنية لتكون له هيبة: كأن تكون له ثقافة بالكمبيوتر، ويكون لباسه لائقا. وهناك الكفاءات الاجتماعية التي تتمثّل في معرفة القواعد المنظّمة للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، إضافة إلى الكفاءات العاطفية التي بها يكون المترجم قادرا على التحكّم في ردّة فعله:

« A mediator must possess the following competencies in both cultures:

- Knowledge about society: history, folklore, traditions, customs, values, prohibitions; the natural environment and its importance; neighbouring people, important people in the society, etc.
 - Communication skills: written, spoken, non- verbal.
 - Technical skills: those required by the mediator's status, e.g. computer literacy, appropriate dress, etc.
 - Social skills: knowledge of rules that govern social relations in society and emotional competence, e, g, the appropriate level of self – control. »
- (Katan, David, 1999, p. 12)

غير أنّ اختلاف الثقافات بين المجتمعات يجعل الكفاءات لوحدها غير قادرة على تجاوز الصعوبات التي تطرحها ترجمة النصوص الحاملة لمفاهيم ثقافية ودينية، لذا وجب اقترانها بـ: 'أخلاقيات المترجم'.

2.2. أخلاقيات المترجم:

تتمثل الأخلاقيات، بوصفها فرعاً من فروع الفلسفة، في مجموعة الآداب والقواعد التي تنظم حياة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه وتحدد له المسموح والمحظور. والترجمة كغيرها من المهن، تخضع لمجموعة من القواعد التي تساعد المترجم في أداء عمله وتشكل له حدوداً يتوجب عليه الالتزام بها وعدم تخطيها.

غالباً ما ترتبط أخلاقيات المترجم بالأمانة، والموضوعية، والحياد. يُقصد بالأمانة الوفاء للمعنى الموجود في النص، أما الموضوعية فتظهر في احترام أفكار الكاتب وتوجيهه والعمل على نقلهم بأمانة للغة المستضيفة. وبالنسبة للحياد فيظهر من خلال نقل آراء الكاتب ومعتقداته دون نقد ولا تعليق، حتى وإن تعارضت مع المعتقدات السائدة في مجتمع المترجم. لذا نجد أن الأخلاقيات التي خصّصت لهذه العملية قد حُصرت فيما يسمى بـ: 'عدم تشويه المعنى'.

لكنّ التوجه السائد في الفترة ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين، وهو الترجمة المتخصصة، قد جعل المترجم يتخذ من الترجمة مهنة ومصدر رزق، هذا ما جعله يتعرض أحياناً لمضايقات وضغوطات من طرف الزبون؛ حيث قد يطلب منه صراحة تغيير المعنى الذي قد يؤدي إلى تشويه النص محل الترجمة. وهو ما يحدث عند أقلمة النصوص المتلفة وكتب الأطفال، إضافة إلى الحملات الإشهارية، فنجد أن بعض الترجمات قد اختلف محتواها عن الأصل سواء في مجملها أو في البعض من محطاتها:

« There are many cases when the translator is explicitly asked to “distort” the meaning of the source text in specific ways, as when adapting a text for television, a children’s book, or an advertising campaign. » (Robinson, Douglass, 1997/ 2003, p. 26)

3. أدب الأطفال:

إنّ المفهوم الثقافي الذي يشتمل عليه النص الأدبي، يجعل المترجم يتعامل معه بحذر، خاصة أن محتوياته تختلف باختلاف القارئ الموجه له. فالتعامل مع شريحة الأطفال، يفرض على المترجم طرقاً خاصة لنقل النصوص إلى اللغة الهدف؛ حيث يتوجب عليه أن يقدم ترجمة تحترم سن هؤلاء المتلقين ونفسياتهم حتى يساعد في تنمية شخصياتهم من خلال تنوير عقولهم وتحريك خيالهم. وعليه، يكتب ما يتوقع أن يستوعبه القارئ الطفل ويتماشى مع مستواه الفكري والثقافي، غير أنه قد تحدث صعوبات في التلقي تحول دون إيصال المؤلف لفكرته وتوجهه:

"لأنهم قليلو الصبر، كثيرو التقلب، حيث تتغير كثير من ميولهم بتغير مشاهداتهم وملاحظاتهم." (الهيقي، دت، ص. 9)

يعدّ نقص الوسائل التي تستعمل بغرض إيصال ثقافة بعينها للطفل، في البلدان النامية عموماً، عائقاً حال دون نمو هذه البلدان؛ لأنّ الطفل هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع مستقبلاً. ففي عالمنا العربي لم يُسلط الضوء على هذه الشريحة إلّا في النصف الثاني من القرن العشرين:

"نما أدب الأطفال العربي نمواً واضحاً بين السبعينيات والتسعينيات، وأصبح الباحث قادراً على أن يعبر في كلّ دولة عربية على رصيد مقبول من النصوص الأدبية ذات المستوى الفني الجيد. وهذا الأمر يدعو إلى التفاؤل بمستقبل أدب الأطفال في الوطن العربي." (الفيصل، 1998، ص. 3)

1.3. ترجمة أدب الأطفال:

لا تقلّ الترجمة أهمية عن الكتابة في حدّ ذاتها، وحذر المترجم عند التعامل مع الأفكار لا يقلّ عن حذر الكاتب. فبالرغم من أنّ العملية الترجمة تشتمل على عناصر ثلاثة، هي: الكاتب، والمترجم، والمتلقي الهدف، إلّا أنّ الضوء يسلط على المتلقي الهدف الذي غدا أولوية تفتن المترجمون والمنظرون في الوصول إليها منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حتّى صار يسمّى المتلقي 'الزبون' كما نراه في نظرية الهدف للألمانيين هانس فرمير Hans Josef Vermeer وكاثرينا رايس Katharina Reiss. فصغر سن متلقي الأدب قد زاد من حذر المترجم وحرصه على الامتثال لشروط وأسس معيّنة، فكما ينمو عقل هذا الطفل وتتسع ثقافته التي تبني هويته مستقبلاً بمطالعة أدب مجتمعه، تنوّر كذلك بصيرته ويرى الاختلاف بفضل ما يقرأه من أعمال مترجمة عن الآداب العالمية.

صحيح أنّه بالترجمة ينتشر العمل ويعرف عند باقي المجتمعات، كما أنّ تجديد ترجمة المؤلفات القيّمة من فترة إلى أخرى ضمان لحياة العمل، إلّا أنّ عمل المترجم لا يتوقف عند هذا الحدّ بل يتجاوزه ليكون عامل تغيير. وأبسط مثال على ذلك هو ما نلمسه في الإشهار المترجم الذي يهدف أساساً إلى التأثير على المتلقي واقناعه بالسلعة أو الفكرة التي يروج لها هذا الإشهار.

وعليه، يمكن أن يكون دور التغيير سلاحاً ذا حدين في يد المترجم: قد يستغل أدب الأطفال بطريقة إيجابية فيبنى المجتمع وبالتالي الحضارة، كما قد يستغله سلباً فيهدم المجتمع

وحضارته. ولذلك اشترط في المترجم أن ينقل النص بـ: 'أمانة' Faithfulness والتي استبدلت بلفظ Loyalty، وكلاهما تشير إلى الشرط الأساسي والضروري للتعامل مع الآخر في إطار العملية التواصلية:

« Loyalty is a *moral* principle indispensable in the relationships between human beings who are partners in a communication process. » (Nord, C, 1991, in: Snell-Hornby, Mary, 2006, p. 78)

فالأمانة المرجوة من العملية الترجمة التواصلية تستند على جملة من الاستراتيجيات والتقنيات، اجتهد المترجمون والمنظرون في تحديدها وتبيين حدودها.

2.3. استراتيجيات ترجمة الأعمال الأدبية (أدب الطفل):

لقد تباينت الآراء والتوجهات حول الطريقة الجيدة للترجمة. وانطلاقاً من كون هذه العملية تقوم على عناصر أهمها: كاتب النص الأصل، والمتلقي الهدف، تأرجحت الترجمة الجيدة بين اتباع ما يحترم الكاتب الأصل ونصه، أو ما يخدم المتلقي الهدف ويسهل الفهم عليه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ إرضاء الكاتب الأصل أو المتلقي الهدف، يضع المترجم أمام اتجاهين يشكّلان ما أسماه المترجم الفرنسي أنطوان بيرمان Antoine Berman - في مؤلفه L'Épreuve de l'étranger الذي ألفه عام 1984 - بـ: 'مأساة المترجم'. تأتي هذه العبارة تفسيراً من برمان للمقولة الشهيرة للفيلسوف الألماني فرانز روزنزويف Franz Rosenzweig، التي يقول فيها إنّ الترجمة هي أن تخدم سيدين: السيّد الأوّل هو المؤلّف، والكاتب، واللغة الأجنبية، أمّا السيّد الثاني فهو الجمهور ولغته.

فلخدمة هذا السيّد أو ذاك، يتبع المترجم استراتيجية عامة من بين اثنتين أسماهما المنظّر والمترجم الأمريكي لورنس فينوتي Lawrence Venuti باستراتيجية 'التغريب' واستراتيجية 'التوطين'، وذلك في كتابه المعنون بـ: 'اختفاء المترجم' The Translator's Invisibility الذي بإصداره سنة 1995م، أحدث ثورة في الدراسات الترجمة. وهي الأفكار التي كان الألماني فريدريك شلايرماخر قد لخصّه في مقولة له عن دور المترجم، الذي يكون إمّا بترك الكاتب بسلام ما استطاع وتقريب القارئ له، أو ترك القارئ بسلام ما استطاع وجعل الكاتب يذهب لملاقاته:

« ... ou bien le traducteur laisse l'écrivain le plus tranquille possible et fait que le lecteur aille à sa rencontre, ou bien il laisse le lecteur le plus

tranquille possible et fait que l'écrivain aille à sa rencontre. » (Guidère, Mathieu, 2010, p. 26)

1.2.3. استراتيجية التوطين:

لقد دعا المترجم الفرنسي إتيان دوليه Étienne Dolet الذي عاش في القرن السادس عشر ميلادي - والذي قال عنه المترجم الفرنسي إدموند كاري Edmond Cary بأنه 'أب التنظير الفرنسي للترجمة' - إلى التركيز على خدمة المتلقي الهدف، من خلال مؤلفه الذي حمل عنوان 'الطريقة الجيدة للترجمة من لغة إلى أخرى' الذي صدر سنة 1540م. تناول في هذا المؤلف الأسس الخمس التي اقترحها على المترجم كي يتحصل على ترجمة صحيحة ويقبلها المتلقي المستهدف بالترجمة.

ركّز دوليه في القواعد الأربع الأولى على ضرورة أن يتعمّق المترجم في المعنى الذي صاغه الكاتب في نصّه مع جمع معلومات حول المجال الذي ينتمي إليه النص؛ لتحقيق ترجمة لا يعتريها من اللبس والغموض شيء. مع الإلمام بلغتي الانطلاق والوصول؛ أي لغة الكاتب ولغة المتلقي الهدف، وتفادي الالتصاق بالنص الأصل والكاتب الأصل الذي قد ينجر عنه ترجمة ركيكة لا يستحسنها المتلقي الهدف.

غير أنّه يؤكّد على ضرورة التزام المترجم بالقاعدة الخامسة - التي بدونها تصير كلّ كتابة ثقيلة على الأذن وغير ممتعة - وهي: التركيز على إيقاع الجمل البليغة؛ وذلك بصياغة المقولات بطريقة لطيفة ومتناغمة ترتاح لها النفس وتستأنس لها الأذن ولا تمل أبدا منها:

« Venons maintenant à la cinquième règle que doit observer un bon traducteur. Laquelle est de si grande vertu que sans elle toute composition est lourde et mal plaisante. Mais qu'est-ce qu'elle contient. Rien autre chose que l'observation des nombres oratoires : c'est à savoir une liaison et assemblément des dictiones avec telle douceur que non seulement l'âme s'en contente mais aussi les oreilles en sont toutes ravies, et ne se fâchent jamais d'une telle harmonie de langage. » (Dolet, Étienne, 1540, pp. 17-18)

فانطلاقاً من هذه القاعدة الخامسة، يدعو دوليه إلى جعل النص المترجم طبيعياً ومألوفاً يخلو من الخصائص التي تجعله غريباً عن أذن المتلقي. وهي الفكرة نفسها التي أكّد عليها لاحقاً عالم اللغة الأمريكي والمنظر للترجمة 'يوجين نايدا' Eugene Nida في مؤلفه 'نحو علم الترجمة'؛ بتناوله مفهوم التكافؤ الديناميكي أو الوظيفي، حيث صرّح أنّه باتباع هذا النوع من

التكافؤ في الترجمة تصبح 'العبرة الطبيعية'، وحتى تكون كذلك يجب على المترجم أن يتبع استراتيجية واضحة، وكان بالوضوح يقصد التوطين:

« The phrase « naturalness of expression » signals the importance of a fluent strategy to this theory of translation, and in Nida's work it is obvious that fluency involves domestication. » (Venuti, Lawrence, 1995, p. 21)

ولتحقيق نتيجة أفضل، قد يصل المترجم إلى اللجوء إلى الأقلية، وهي أقصى حدود الحرية في التعامل مع النص. وهي طريقة تستعمل أساسا عندما يتعلق الأمر بالأعمال المسرحية والشعر؛ حيث إنّ المواضيع والشخصيات وحتى الحكمة يحافظ عليها المترجم فتتقل ثقافة النص الأصل للغة الهدف وتعاد كتابة النص:

« Adaptation: this is the 'freest' form of translation. It is used mainly for plays (comedies) and poetry; the themes, characters, plots are usually preserved, the SL culture converted to the TL culture and the text rewritten. » (Newmark, Peter, 1988, p. 46)

2.2.3. استراتيجية التغريب:

تتمثل استراتيجية التغريب في نقل النص للقارئ على غرابته. حتى أنّ أنطوان برمان، في مؤلفه L'Epreuve de l'Etranger قد عدّها أساسا أخلاقيا للمترجم، يسعى به للمحافظة على الثقافة التي ينقلها النصّ الأصل، وحمايتها من الضياع.

ولذلك، كان هذا التوجّه محرّكا أساسيا لبعض دارسي الترجمة منذ القدم. ففي القرن الثامن عشر، كان الأديب الأسكتلندي، فرايزر تايلر الذي يعتبر أب التنظير الإنجليزي للترجمة، قد تناول في مؤلفه 'محاولة في أسس الترجمة' 'Essay on the Principles of translation' ما يساعد المترجم على الوصول إلى ترجمة جيّدة؛ وذلك بالتركيز على النصّ الأصل واحترامه، والوفاء له، وعدم الخروج عن أفكاره والمفاهيم الثقافية المتناولة فيه. فاقترح قواعدا وأسساً، بالعدول عن اتّباعها، يحصل المترجم على ترجمة سيّئة.

يجب على المترجم نقل كلّ ما ورد في النصّ الأصل من أفكار ومعلومات، والمحافظة على التماسك الدلالي من خلال المحافظة على ترتيبها في النص؛ فحذف فكرة أو عدم احترام موقعها في النصّ مقارنة مع باقي الأفكار، قد يعطي معنى آخر أو حتى مغايرا لمعنى النص. ناهيك عن محاكاة

أسلوب الكاتب في عرض تلك الأفكار مثل القالب أو المبنى الذي نظمت فيه، فما كان شعرا نقله المترجم شعرا وما كان نثرا نقله نثرا.

يجب على المترجم كذلك أن يكون مطلقا على أسس الكتابة والتأليف في اللغة المصدر، باعتبار الترجمة عملية إعادة كتابة نص بلغة أخرى:

« I- That the translation should give a complete transcript of the ideas of the original work.

II- that the style and the manner of writing should be the same character with that of the original.

III- that the translator should have all the ease of original composition. »
(Tytler, Fraser, 1797, p. 15)

وهو التيار نفسه الذي دعا إليه -لاحقا- الفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر، من خلال محاضراته التي ألقاها سنة 1813م وعنونها ب: الطرق المختلفة للترجمة. حيث لخص فيها دور المترجم كما أشرنا سابقا، ليتبع ذلك التلخيص بوجهته في الترجمة، والمتمثلة في الحفاظ على غرابة النص تحقيقا للأمانة:

« Schleiermacher made clear that his choice was foreignizing translation. »
(Venuti, Lawrence, op. cit, p. 20)

سار المترجم الفرنسي أنطوان برمان على خطى شلايرماخر معتبرا أن الترجمة السيئة هي تلك التي تمحي غرابة النص الأجنبي بحجة أن تكون هناك قابلية الترجمة:

« J'appelle mauvaise traduction la traduction qui, généralement sous couvert de traduisibilité, opère une négation systématique de l'étrangeté de l'œuvre étrangère. » (Berman, Antoine, 1984, p. 17)

فبغية الوصول إلى الأمانة في نقل العمل المراد ترجمته، ركّز برمان على الترجمة الآمنة - حسب بيتر نيومار Peter Newmark - التي توصف بكونها الطريقة الأمثل لتجسيد استراتيجيات التغريب في الترجمة. فالترجمة الآمنة تحاول أن تنتج المعنى السياقي الدقيق للنص الأصل على الرغم من القيود التي تفرضها التراكيب النحوية للغة الهدف. وباتباعها ينقل المترجم المفردات الثقافية مع المحافظة على درجة الغرابة النحوية والمعجمية لتكون آمنة لكل مقاصد كاتب النص الأصل:

« A faithful translation attempts to reproduce the precise contextual meaning of the original within the constraints of the TL grammatical structures. It 'transfers' cultural words and preserves the degree of grammatical and lexical 'abnormality' (deviation from SL norms) in the translation. It attempts to be completely faithful to the intentions and the text-realisation of the SL writer. » (Newmark, Peter, op. cit.)

3.2.3. أقلمة أدب الأطفال:

عادة ما تقتبس قصص من الآداب الأجنبية، وتكيّف حسب مستوى الطفل وقدرة استيعابه ليتعرّف على ثقافة غير ثقافته، وبما أنّ الطفل متلقّي خاص للترجمة، حظي بعناية خاصة وبحث خاص في طريقة مثلى للترجمة. لهذا اقترح بعض المترجمين اللّجوء إلى أقلمة ما يخص الطفل من قصص ومسرحيات، وذهبوا إلى تقسيم هذه الأقلمة إلى عدّة أنواع، منها: أن يقوم المترجم بتقليص الكتب واختزال بعض التفاصيل كي تتماشى مع مستوى الطفل، أو أن تكتب مباشرة لهذه الفئة خاصة ما يقدّم منها في شكل أفلام؛ علماً أنّ من يقوم بهذه الأقلمة قد يكون المترجم، أو مخرج الفيلم، أو المصور، أو الكاتب نفسه:

« Literature can be adapted in several types. Adaptations may be abridgements of books or they may be created for a totally different medium, for instance when books become films. The adapter may also be the translator, the film director, the illustrator – or the author her/ himself. » (Oittinen, Riita, 2000, p. 77)

فالمترجم يكون أعلم الناس بمزالق الترجمة ومنافذها، أمّا المخرج والمصور والكاتب فهم أعلم الناس بالتفاصيل التي يمكن الاستغناء عنها دون المساس بحبكة القصة.

تتعدّد الأغراض من هذه العملية، فاستهداف الطفل بمستواه الثقافي وثوابته الفكرية المحدودة، تجعل الأقلمة سبيلاً لإيصال المغزى من القصة مع الهدف المسطر من وراء الترجمة، كما أنّ بعض القصص تتمّ أقلمتها بغرض أن يقرأها الأولياء ويطلعونها لأطفالهم، خاصة ما تعلق منها بتعليم اللّغات الأجنبية للطفل ممّا يحفز المبيعات. كما أنّ الأولياء عندما يطلعونها للأطفال فإنهم يشرّحون لهم القيم الأخلاقية وحتى الدينية التي تحملها القصة:

« Some are made for parents, to take the book, in an adapted form, more appealing to national and international audiences and to improve sales.

Adaptation may also reflect the adult authorisation will to “educate” the child. » (op.cit.)

فدولتنا الجزائر، على غرار العديد من الدول العربية، تشجع ترجمة القصص للأطفال بغية تعليمهم اللغة الأجنبية، التي باتت اللغة الإنجليزية في مقدّمها. فدار النشر 'مؤسسة بوسحابة للطباعة والنشر والتوزيع' والتي مقرّها عين البيضاء، تعدّ إحدى المؤسسات التي وفرت للطفل الجزائري مجموعة من القصص باللغة الإنجليزية التي تنقل قصصا من الآداب العالمية، مثل: سندريلا، موكلي طفل الأدغال، وقصة بياض الثلج والأقزام السبعة. فبتصفحنا لهذه القصص، وجدنا أنّ المترجم قد نقلها للطفل الجزائري بكلّ أمانة، فأبقى على الأفكار التي تحفّز خيال الطفل وإن كانت غير قابلة للتجسيد على أرض الواقع، حيث ورد في الصفحة 4 من قصة سندريلا:

« The fairy, with her wand, turned a pumpkin into a coach, one mouse into a coachman and the other two into footmen. »

يساعد هذا الوصف على جعل الطفل يتخيل الساحرة وهي تحول اليقطينة إلى عربة والفران إلى سائق وخدم، ممّا ينمّي قدراته التخيلية التي تساعد على الاستيعاب والحفظ. كما أنّ سماع القصة وقراءتها باللغة الإنجليزية يسهل عليه تعلم هذه اللغة واكتساب مهارات التعبير الشفوي والكتابي بها.

تجدر الإشارة إلى أنّه استوقفنا فكرة مذكورة في قصة 'بياض الثلج والأقزام السبعة' وتتمثل في تقبيل الأمير لبياض الثلج (ص.8):

« One day, Prince charming...when he kissed Snow White. »

نجد أنّ الفكرة قد نُقلت حرفيا للطفل الجزائري. وبالتالي، وجب على الوالدين التّدخل في مثل هذه الحالات والوقوف عند هذه الفكرة الحساسة بتبيين أنّها أمر لا تقبله شريعتنا ولا تنشئتنا ولا يعبر عن مجتمعنا. بهذا تنفّادى تقبّل الطفل للفكرة على أنّها أمر عادي ويمكن حدوثه في مجتمعنا.

لا ننكر حقيقة أنّ المترجم، وعلى الرغم من إدراكه لكل الاستراتيجيات مع الأهداف من وراء اتّباعها، يكون مقيدا بما يمليه عليه صاحب العمل خاصة عندما يتعلّق الأمر بأعمال سيّتم نشرها ومن ثمّ تسويقها:

« Translators tend to have relatively little freedom in their dealing with patrons at least if they want to have their translations published. »
(Lefevere, André, 1992, p. 19)

4. تحليل نماذج مختارة من بعض القصص المترجمة:

لقد أصدرت 'دار الزيتونة للإعلام والنشر' بمدينة باتنة الجزائرية سلسلة من القصص المنقولة عن الآداب العالمية، حيث قامت بتقديم النص باللغة العربية متبوعاً بنص باللغة الفرنسية في كلّ صفحة من العمل، ممّا يسهّل على الطفل اكتساب اللّغة من جهة وإطلاعه على الآداب العالمية من جهة أخرى.

1.4. نماذج من قصة سندريلا:

- النص باللغة الفرنسية (ص. 3-5):

Quel bonheur ! C'était la voix d'une bonne fée ! Elle demanda à Cendrillon de choisir la plus grande citrouille du potager.

Puis d'un coup de baguette magique, elle changea la citrouille en un somptueux carrosse doré, et quatre souris en de magnifiques chevaux et deux lézards en d'élégants laquais !

- النص باللغة العربية (ص. 4):

اذهي إلى الحديقة واحضري يقطينة كبيرة وأربعة فئران. تقدّمت الحورية من اليقطينة ولمستها بعصاها السحرية فتحوّلت إلى عربة فخمة وعليها سائق وحارس.

• من خلال النص باللّغة العربية، نجد أنّ المترجم قد اختار كلمة الحورية مقابل fée، مع أنّه يوجد المقابل جنية الماء. كان هذا الاختيار مراعيًا لنفسية الطفل الصغير وعقله؛ فعادة ما ترتبط الحورية بصورة شخص بذيّل سمكة يعيش في الماء، ممّا يخلق أثراً طيباً في نفسه على عكس الجنية التي قد تنفّر من سماع القصة أو قراءتها.

لجأ المترجم إلى تعديل أو تطويع أسلوب الخطاب، ففي النص الأصلي كان الأسلوب غير مباشر ليبدله في اللغة العربية بأسلوب مباشر: اذهبي واحضري. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التطويع لم يؤثر على المعنى لا إيجاباً ولا سلباً؛ لأنّه حتّى وإن قال: أمرتها الحورية بالذهاب إلى الحديقة وإحضار يقطينة، لن يتغيّر المعنى. وهي تقنية يلجأ إليها المترجم أحياناً للتأكيد على وفرة التراكيب اللّغوية وتعدّدها دون اختلاف المعنى الذي تنقله.

حذف المترجم deux lézards en d'élégants laquais - إذ يمكن ترجمتها إلى اللّغة العربية ب: 'حوّلت السحليتين إلى خادمتين مطيعتين' حيث اكتفى المترجم بنقل وضعية الفئران الأربعة الذين تحوّلوا إلى سائق وحارس.

فالحذف في هذه الحالة يجعل القارئ نفسه يرسم في مخيلته صورة بعد قراءته للغة العربية تختلف عن الصورة الناتجة عن قراءة النص باللّغة الفرنسية. كما أنّ الحذف لم يكن بدافع إخفاء ما يتنافى مع القيم الدينية والأخلاقية للمجتمع الجزائري، لهذا نرى أنّ الإبقاء على العبارة كان ليخدم النص أكثر كي تكون الصورة التي يتخيلها الطفل نفسها بعد قراءة النص باللغتين، كما يضيف إلى قاموسه اللّغوي ألفاظا أخرى: lézard, laquais، ممّا يسهم في الثراء اللغوي للطفل.

- النص باللغة الفرنسية (ص. 5):

A ton tour maintenant ! D'un coup de baguette magique, la fée habilla Cendrillon d'une ravissante robe de princesse.

- النص باللغة العربية (ص. 4):

ثم لمست ثوب "سندريلا" البالي فتحوّل إلى فستان جميل.

• لقد قام المترجم بأقلّمة العبارة حتّى أنّه قدّم للطفل معنى آخر يجعله يتخيّل صورة تختلف عن الصورة التي تخيلها بعد قراءة النص باللغة الفرنسية. فالنص الفرنسي يجعل الطفل يتخيّل أنّ الحورية ألبست سندريلا فستان أميرة رائع، في حين أنّ النص العربي يقول بأنّ الثوب الذي كانت ترتديه سندريلا هو نفسه الذي غيّرتة الحورية بعصاها السحرية إلى فستان الأميرات.

من خلال هذين المثالين، نجد أنّ المترجم قد أقلم النص الفرنسي مستعينا بتقنية التعديل التي تحدّث عنها كلّ من جون بول فيني Jean-Paul Vinay وجون داربلني Jean Darbelnet، في مؤلفهما 'الأسلوبية المقارنة للفرنسية والانجليزية' احتراماً لنفسية الصغير ومستوى استيعابه. غير أنّ اللجوء إلى تغيير تفاصيل القصة لم يؤثر على الحبكة ولم يطل الشخصيات.

2.4. نماذج من قصة علاء الدين والمصباح السحري:

- النص باللغة الفرنسية (ص. 1):

« Il était une fois un jeune garçon nommé « Aladin » qui vivait avec sa mère dans une ville de Perse. »

- النص باللغة العربية (ص. 2):

كان في قديم الزمان خياط فقير يدعى مصطفى وكان له ولد اسمه 'علاء الدين'. شاءت الأقدار أن يموت الخياط ويترك ابنه يتيما.

• من خلال النصين، يتّضح لنا أنّ المترجم قد لجأ إلى الأقلمة بتوطين القصة وإعطائها طابعا شرقيا من حيث أسماء الشخصيات المذكورة، مثل: مصطفى وهو والد علاء الدين.

إنّ لجوء المترجم لاستراتيجية التوطين والحرية في سرد الأحداث التي لم تذكر في النص الفرنسي؛ حيث كانت المقدمة مختلفة تماما عن مقدمة النص الفرنسي، لم يكن بغرض تكييف المفاهيم الثقافية أو الدينية الغربية عن الطفل الجزائري، بل علّا ما يبرر هذا التوطين هو كون القصة شرقية في أصلها وإن كانت إحدى القصص التي تم سردها في كتاب ألف ليلة وليلة في القرن الثامن عشر للمستشرق الفرنسي أنطوان جالان.

بقراءتنا للقصتين كاملتين، رأينا أنّ النصين لم يتفقا إلا في الحكبة، أمّا التفاصيل، فكل نص ذكرها من وجهة مختلفة عن الآخر. هذا ما يجعل الطفل يرسم في خياله صورا تختلف باختلاف اللغة، خصوصا وأنّ هذه القصة تقوم أساسا على الخيال بسردها لأشياء غير واقعية.

3.4. نماذج من قصة أليس في بلاد العجائب:

- النص باللغة الفرنسية (ص. 1):

Par une belle journée d'automne, Alice était assise sous un arbre auprès de sa sœur qui lui faisait la lecture.

- النص باللغة العربية (ص. 2):

في يوم ربيعي، أشرقت شمس وفاحت رياحين أزهاره، جلست أليس تحت شجرة تستمع إلى ما تقرأه عليها أختها من القصص.

• الترجمة الحرفية للنص هي: في يوم جميل من أيام الخريف، كانت أليس جالسة تحت شجرة مع أختها. غير أنّ المترجم قد ربط جمال اليوم بجمال الفصل، فغيّر فصل الخريف بفصل

الربيع في اللغة العربية وأضاف عبارة: أشرق شمس وفاحت رياحين أزهاره. يكون بذلك قد لجأ إلى اتباع استراتيجية التوطين مع تقنية الأقلمة في النص بإضافة ما لم يذكر في النص الأصلي، لأننا عادة ما نربط جمال الطبيعة بفصل الربيع، في حين أنّ اليوم الجميل من فصل الخريف قد تستغربه أذن الطفل ولا ترتاح لسماعه.

4.4. تقييم للترجمات:

- إنّ اللجوء لتوطين قصتي علاء الدين وأليس، والتصرف في أفكار النص في قصة سندريلا من خلال اتباع تقنية الأقلمة، قد شكّل عائقاً حال دون تعلّم اللغة الأجنبية عن طريق توفير المقابل باللغة الأم وهي اللغة العربية.

- لقد كان إتباع النص العربي بالنص الفرنسي فكرة ذكية من دار النشر ساعدت المترجم على إقناع المتلقي الطفل بتنوع ثقافات المجتمعات، ولكن ليس من خلال التغريب والترجمة الحرفية الآمنة للنص الأصل، بل من خلال توطين أفكاره وأقلمتها مع البيئة العربية الجزائرية، حتّى وإن لم تحتو النصوص باللغة الفرنسية عمّا يمس بالمواضيع الحساسة في مجتمعنا.

5. خاتمة:

من خلال ما تمّ مناقشته وتحليله، نستنتج ما يلي:

- إنّ الأقلمة تقنية لا تطبّق إلّا في مواضع معيّنة من العمل، يتمّ تحديدها بالرجوع إلى أخلاقيات العملية الترجمية. كما تمثّل هذه التقنية الحلّ الوسط الذي يحافظ به المترجم على الاستقرار الثقافي من جهة، ويساعده على الانفتاح على ثقافة الغير من جهة أخرى.

- حتى تكون هذه التقنية مفيدة أكثر وجب أن تتماشى مع التغريب، الذي فيه تنوع ثقافي يمكن الطفل من الاستمتاع من جهة، ومن جهة أخرى، يفتح على الغير من خلال إدراك أنّ الوقائع ليست نفسها في جميع المجتمعات، فلا ينعلق على ذاته ولا يتقوقع على واقعه.

- لا أحد ينكر أنّ القصص الأجنبية، وبما أنّها تنقل ثقافة الأجانب، تنقل لا محالة الأخلاق والقيم السائدة في ذلك المجتمع. وبما أنّ أساس هذه الأخلاق هو الدين، فحتما سيجمل هذا الأدب الأجنبي ما لا تقبله قيم الطفل في المجتمع المسلم؛ ولذلك حريّ بالمترجم أن

يلجأ إلى أقلمة النص في بعض التفاصيل التي قد تنعكس في تصرفات الطفل مستقبلاً، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، وبما أن الطفل عادة ما يعتمد على الأولياء في استيعاب الأفكار، فإنه يتوجب على الوالدين مراقبة ما يقرأه الطفل، أو يكون أحدهما العنصر القارئ؛ فيشرح القصة للطفل وينقل إليه الأفكار بما يتناسب والقيم الدينية في مجتمعه.

- مفيد هو التعريف بالأجنبي على غرابته للإسهام في وإنماء عقل الطفل وتنويره، في حين أن توطين هذا الأدب سيجعل الطفل ينغلق على ذاته ويرى العالم بنظرة وحيدة أو حتى مغلوطة؛ عندما ننقل إليه العالم بطريقة موحدة.

- ختاماً، يمكن القول إنَّ التغريب مثاقفة يتشارك المترجم والأولياء مهمة إنجازها، لتكون بذلك ترجمة أدب الطفل تنوعاً ثقافياً لا غزواً ثقافياً. وهذه الفكرة نفسها يعززها المترجم الفرنسي هنري ميشونيك Henri Meschonik بقوله عن الترجمة: أنها في الحقيقة فعل أخلاقي ما دامت تتجاوز المقابلة بين الهوية والغيرية. فالهوية - حسبه - لا تتشكل إلا مع وجود الغيرية:

« La traduction est un acte éthique parce qu'elle court-circuite l'opposition entre identité et altérité en montrant que l'identité ne vient que par l'altérité. » (Guidère, Mathieu, op. cit)

6. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أليس في بلاد العجائب، دار الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة.
- 2- علاء الدين والمصباح السحري، دار الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة.
- 3- سندريلا، دار الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة.
- 4- الفيصل، سمر روجي، أدب الأطفال وثقافتهم: قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- 5- الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت.

6- Anderman, Gunilla & Rogers, Margaret (2003). *Translation today: Trends and perspectives*, Multilingual Matters LTD, Clevedon.

- 7- Berman, Antoine (1984). *L'Épreuve de l'étranger : culture et traduction dans l'Allemagne romantique*, Gallimard.
- 8- Dolet, Étienne (1540). *La manière de bien traduire d'une langue en autre*, Paris.
- 9- Guidère, Mathieu (2010). *Introduction à la traductologie, Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain*, De Boeck, Traducto. Bruxelles, 2^{ème} éd.
- 10- Katan, David (1999). *Translating cultures: an introduction for translators, interpreters and mediators*, St Jerome Publishing, United Kingdom, 1999.
- 11-Lefevere, André (1992). *Translation/history/culture; a sourcebook*, Routledge, London & New York.
- 12- Newmark, Peter (1988). *A Textbook of translation*, Prentice -Hall Europe, 1988.
- 13- Nord, Christiane (2006). "Scopos, Loyalty, and translational conventions". in: *The turns of translation studies: New paradigms or shifting viewpoints?* Snell- Hornby, Mary, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/ Philadelphia.
- 14- Oittinen, Riita (2000). *Translating for children*, Garland Publishing, Inc, New York & London.
- 15- Robinson, Douglass (1997/2003). *An introduction to the theory and practice of translation*, Routledge, London & New York.
- 16- Tytler, Alexandre Fraser (1797). *Essay on the principles of translation*, T Cadell Jun & W. Davies, London, 2nd edition.
- 17- Venuti, Lawrence (1995). *Translator's invisibility: A history of translation*, Routledge, London & New York.
- 18- *Cindrella*. Boushaba Edition et Distribution, Algérie.
- 19- *Snow White and the seven Dwarfs*. Boushaba Edition et Distribution, Algérie.